مَن قال أن الله موجود؟

القديس نيكولا فيليميروفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

(من رسالة إلى معلمة مدرسة وأمها)

كلاكما، أنتَ وأمك المسنة مهتمتان بالعقيدة الأرثوذكسية. منذ أن بدأتِ تتممين وصايا الصوم والصلاة والمحبة والمناولة، ظهرتْ لك أسرار الحق أكثر فأكثر. وهذا بالفعل هو الطريق الصحيح: من خلال ممارسة ما نعرفه، نصل إلى ما لا نعرفه.

إن الصلاة الصامتة على مدى سنوات طويلة تكشف الحقيقة. لكن قلبك مشتعل بالرغبة في توجيه كثيرين آخرين إلى طريق الحقيقة. ومع ذلك، فإن الناس هم أشخاص: من جهة، العقل مظلم من الأكاذيب؛ ومن جهة أخرى القلب قاسٍ من الأهواء، وما تريدينه لن يتم بسهولة. إنه يتطلب الكثير من التطهّر، واغتسالات كثيرة في الماء المقدس، وتغطيساً سبعة أضعاف في نهر الأردن. لقد فاجأكِ عامل من فاناتي بالسؤال: مَن يقول أن الله موجود؟ وأنت في حيرة من أمرك كيف تردين عليه. بداية صلِّي إلى الله من أجل ذلك ومن ثمّ أجِيبي هكذا:

إن النبات الذي تحت قدميك هو دليل يا أخي. يمكن إرجاعه إلى اليوم واللحظة التي قال فيها الخالق كلمته: " وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ» (تكوين ١:١١).

إن الشمس والقمر والنجوم هي دليل. إذا كنت يا أخي تبحث عن شهادة فوق رأسك، فالشمس الحارقة شاهدة، والقمر الغريب وعناقيد النجوم. اذهبْ حيثما شئت لتحاول معرفة من أين أتوا ولن تعلم، حتى تصلَ مرة أخرى إلى ذلك اليوم وتلك اللحظة حين ترددت كلمات الرب فوق الظلمة والهيولى: "قال الله «ليكن» أضواء في قبة السماء... لتضيء على الأرض. فصنع الله نورين عظيمين... وعمل أيضاً النجوم» (تكوين ١:١٤-١٦).

والبحر والهواء دليلان أيضاً. وإذا نظرتَ يا أخي فإن طول البحر وعرضه وعمقه دليل، وكذلك الجبال والريح والغابة وبيوت النمل وأقراص النحل وكل ما يعيش في البحر، في الهواء، في الجبال، في الغابات، وفي تلال الأرض وخلايا شمع النحل. تتبعْهم بالزمن إلى الوراء، دون أن تلتفت يميناً أو يساراً - ولا تسأل أحداً عن الطريق - وسوف تصل مرة أخرى إلى تلك اللحظة البهيجة عندما رنّ صوت المحبة من السماء: "ليكنْ، ليكنْ، ليكنْ. وكان" (تكوين ١).

والثور والحمار دليل على ذلك، بحسب قول النبي إشعياء: "الثور يعرف صاحبه، والحمار معلف صاحبه".

أخبرني يا أخي، ما هي المادة التي تحت السماء ولا تشهد لله؟ سأعطيك مائة عام لتنهِك نفسك بهذا الجهد الذي لا طائل منه، ولن تجد ورقة واحدة من العشب لا تشهد على عظمة خالقها. ولكن لاختصار وقتك ولمساعدتك على رؤية ما ليس دليلاً على الله، سأقول لك بنفسي: في كل العالم هؤلاء، وهؤلاء وحدهم، هم الأشخاص المنحرفون [الذين لا يشهدون لله].

فنظام الخليقة ونِسَبها وعددها وتناغمها الإلهي كلها دليل على ذلك. إن عقل وضمير جميع القديسين والصالحين هو الدليل. ولكن، فوق كل شيء وكل الناس، هناك شهادة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي فيه استعلن إلهنا العظيم الأبدي في الجسد البشري، وافتقد الجنس البشري، وأعلن الأسرار، وأظهر لنا الطريق وفتح لنا الملكوت. إذا كنت تريد أن ترى الله بعينيك وتسمعه بأذنيك - وهو ما جعلنا الله قادرين عليه - فانظر إلى يسوع المسيح. وسوف ترى، وسوف تسمع، وسوف تحيا حياةً جديدة.

هذه طريقةٌ بها يمكنكِ الرد على تلك النفس المسكينة التي تبحث بعطش عن الله وترغب في رؤيته وسماعه. لكن هذا ليس كل ما يمكن قوله. هذه مجرد حزمة واحدة في حقل الله العامر، حيث كل ما ينمو فيه هو شهادة للخالق. وهو لا ينمو إلا لتقديم شهادته، ثم يختفي إلى الأبد!

ومن جهتك يا ابنتي، استمري في النمو في الفضيلة. لا تنظري إلى اليسار ولا إلى اليمين؛ فقط اتبعي طريق الخلاص. قريباً علينا أن نموت. وبعد الموت، تنتظرنا دينونة الله على حسب كيفية شهادتنا له، كأقرب الناس إلى الله. وفي الدينونة، سيكون هناك فئتان من الناس: الأولى، عن يمين رب المجد، هم الذين لم يخجلوا بالمسيح؛ وعن يساره، سيكون هناك أولئك الذين خجلوا بالمسيح في هذه الحياة، "في هذا الجيل الخاطئ الفاسق" (مرقس ٨:٣٨).

Source: Saint Nicholas Velimirovich . Who says God exists? Pemptousia. 4 October 2023. https://pemptousia.com/2023/10/who-says-god-exists/